بين الأمير شكيب وعزت باشا

كان المغفور له الأمير شكيب أرسلان صديقاً حميماً لصاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا. وقد أقاما بسويسره سنين متقاربين متقابلين وكان يتحف صديقه من وقت لآخر بفكاهة أو نكتة مليحة تسلية له وللأصدقاء.

وحصل أن مرض الأمير شكيب وقام بعلاجه طبيبه الدكتور بيكل أحد مشاهير الأطباء في جنيف، وصارت بينهما وبين هذا الطبيب مودة، فنظم الأمير بعد شفائه قصيدة ثناء على الدكتور لاهتمامه به ونجاحه، وقد ضمنها أشياء أخرى من باب التسلية دفعها لصديقه رفعة الباشا ليترجم للدكتور مضمونها. وقد فعل.

ولقد ضمنى ورفعة الباشا مجلس قص علينا فيه ما كانت للأمير شكيب من حسن المحاضرة وجميل المعاشرة؛ ومن بين ما عرضه علينا من آثار تلك القصيدة التي حوت مع الفكاهة على حد قوله تحميداً وتوحيداً، فرأيت تسلية قراء الرسالة بها إذا راقت لصاحبها الأستاذ الجليل والسلام.

أحمد نجيب برادة

قصيدة الأمير شكيب أرسلان

سيدى لا عدمته

أريد أن أسليك وأن أفكهك من وقت إلى آخر، فإن اللذات العقلية لها دور لا ينكر. فهذه أبيات نظمتها لتطربك، فيها نكات وملح، وفيها مواعظ وحكم، وفيها تحميد وتوحيد، والله المستعان.

أقول لبيكل مذ قد غدا … يساوره دائى المعضل
قضى بك ربى شفاء لسقمى … وربى لما شاءه يفعل
تفردت فى حكماء الزمان … فأنت بحق لهم أول
وأحسنت ترقيع شيخوختى … فلله درك يا بيكل
وكنت قليل الرجا فى الحياة … فعادت حياتى كما أؤمل
وذقت لعمرى لذيذ الرقاد … وهل للكرى مثل يعدل
وزاد اشتهائى لهضم الطعام … فقد صلح النوم والمأكل
وقد كان لى نفس ضيق … إذا بات يصعد أو يسفل
فقد رجعت رئتى حرة … يجول بها النفس الأطول
وقد كنت أمشى ببطء عظيم … كمن قد غدا جبلاً يحمل
وما كان خطوى خطواً ولكن … خطى سحبتنى بها الأرجل
فها أنذا صرت أمشى سريعاً … على قدر ما شئت أستعجل
وقد كنت أرجف برداً وإن … تك النار فى جانبى تشعل
فقد صرت مستغنياً عن صلاها … وأخرج ليلاً ولا أسأل
ثم قد أتانى أخيراً زكام … وهذا بكل الورى ينزل
وكان سعال ومن ذا الذى … يمر الشتاء ولا يسعل
على أنه قد مضى كله … وعاد إلى صفوه المنهل
ومهما يك المرء مستعصيا … فلا بد من أنه ينقل
ويبلى ولا سيما إن غدت … هناك الخطوب التى تذهل
فأستغفر الله إنى نسيت … فللثوم فى صحتى مدخل
وما فى النبات لعمرى نبات … أجل من الثوم أو أمثل
كريه الروائح لكنما … ثناه هو المسك والمندل
وأن الشرايين عند الشيوخ … لتيبس من فرط ما تذبل
فبالثوم يمكن تليينها … ويجرى الدماء بها يسهل
فحييت يا ثوم من بقلة … خيوط الحياة بها توصل
معيد الشباب وفى أكله … يطول الشباب ولا يأفل
وبيكل للثوم مستحسن … ومن ذا الذى فضله يجهل
فعندا ربى على صحتى … ألا إنه وحده الموئل
عليه توكلت وهو اللطيف … الذى من يرجيه لا يخذل
ولا بد لى من معاد ولكن … معاد إلى الحق لا يثقل
ومن حل يوماً بدار الكريم … فيا ليت شعرى هل يهمل
نحب الحياة ولسنا ندرى … لعل الذى بعدها أفضل
ولكن عمراً طويلاً يليق … ويحلو لكل امرئ يعقل
وإنا برغم كروب الحياة … لنرغب فى أنها تمهل
وإن حياة الرجال العظام … حياة لغيرهم تشمل
وإن حياة الرجال الكرام … دوام النماء لها يجمل
فأبقاك ربى يا سيدى … بثوب الهنا دائماً ترفل
وأبقى ذويك جميعاً بخير … سحائبه أبداً تهطل
عملت من الخير شيئاً كثيراً … فأنعم فذا خير ما يعمل

الداعى

شكيب أرسلان